

نفحات القرآن

[64] (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلِمُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّادًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا) (الاسراء / 107 - 108) (فَالْأَلْفَيَّ السَّحَرَةَ سُجَّادًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) (طه / 70) (وَلَا يَعْزِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلِمُوا الْعِلْمَ أَنْهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَآمَنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ) (الحج / 54) (وَالرَّاسَخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ) (آل عمران / 7) إِنَّ الْعَلَاةَ الْوُثِيقَةَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَتَصَرِّحُ بِأَنَّ الْأَوْعَى وَالْأَعْلَمَ هُوَ الْأَرْسَخُ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ(1). إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ تَشْهَدُ بِوُضُوحٍ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ هِيَ إِحْدَى السَّبِيلِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانِ الَّذِي يَنْبَغُ مِنْهَا سَيَكُونُ رَاسِخًا جَدًّا وَمُتَجَذِّرًا إِلَى مَسْتَوًى بَحِثٍ نَقَرًا فِي قِصَّةِ السَّحَرَةِ فِي عَصْرِ فِرْعَوْنَ، أَنَّ إِيْمَانَهُمْ بِمُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَام) كَانَ بِسَبَبِ مَعْرِفَتِهِمْ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَام) لَمْ يَكُنْ سِحْرًا، فَمَا كَانَ مِنْ فِرْعَوْنَ إِلَّا أَنْ هَدَّاهُمْ بِشِدَّةٍ قَائِلًا لَهُمْ: أَتُؤْمِنُونَ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ؟! (الطَّغَاةُ يَرِيدُونَ التَّحَكُّمَ حَتَّى يَعْقُولَ النَّاسُ وَإِيْمَانَهُمُ الْقَلْبِي وَفَهْمُهُمْ وَلَا يَتَصَرَّفُ أَحَدٌ بِأَيِّ شَيْءٍ إِلَّا بِإِذْنِ مَنْهُمْ، وَمَنْ ضَمِنَ مَا جَاءَ مِنْ تَهْدِيدِ فِرْعَوْنَ لَهُمْ أَنَّهُ قَالَ: سَأَقْطَعُ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ. لَكِنْهُمْ كَانُوا بِدَرَجَةٍ مِنَ الصُّمُودِ بَحِثٍ كَانُوا يَقُولُونَ لَهُ: _____ 1 - مَا ذَكَرْنَاهُ حَقِيقَةً لَا تَنْكَرُ سِوَاءَ قُلْنَا بِأَنَّ كَلِمَةَ "الرَّاسَخُونَ" مَعْطُوفَةٌ عَلَى "الْأَلْفَيَّ"، أَوْ قُلْنَا بِأَنَّهَا مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهَا الْجُمْلَةُ الْوُثِيقَةُ، لِأَنَّهُ عَلَى كِلَا الْفَرَضَيْنِ، الضَّمِيرُ فِي "يَقُولُونَ" يَرْجِعُ إِلَى "الرَّاسَخُونَ فِي الْعِلْمِ" وَبِهِ تَضَمُّنُ الْعَلَاةِ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ فِي الْآيَةِ.